

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، وجعله نورا وهداية وكفاية لعباده وكان بهم خبيرا بصيرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله المبعوث بالحق شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد؛

أيها المسلمون اتقوا ربكم و أطيعوه و استمسكوا بهديه وعظموه، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥]

أيها المسلمون ها هو شهر الخير أناخ بجيراته بينكم، وأذن مجلول نعم ربكم عليكم، أبواب من النفحات والجنات قد فتحت، وموائد للخيرات قد هيئت، ودار العذاب قد غلقت، ومردة الشرور قد صدقت، أيام معدودات، وعتق من النار ورحمات، ومغفرة من الله ومحو للسيئات، ونداء من السماء وإجابة للدعوات، فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، فالمحروم من حرم هذه الأيام، والملوم من فرط في غنيمة الزمان.

أيها الناس إن رمضان تتجدد فيه دواعي الإيمان،

وتبرز فيه خصال الخير والإحسان، فهو شهر القرآن الذي هو منبع الإيمان، ومأدبة الرحمن، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وبقدر التعلق به وتلاوته يعرف العبد ميزان استغلال شهره، وقد قال رسول الله ﷺ: «الصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصَّيَامُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفَعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفَعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ»^(١)، فليل رمضان إنما يعمر بالقرآن، ولذلك قال ابن عباس ؓ: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، كان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان، حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام، كان أجود بالخير من الريح المرسلة»^(٢).

وقد كان السلف الكرام إذا دخل رمضان قالوا: إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام، والقرآن هو الكتاب المبين، والمعجزة الخالدة إلى يوم الدين، كتاب أنزله الله بعلمه، وجعله آية خاتم رسله، فضل الله به أمة الإسلام على أمم العالمين، نور يبيد الظلمات، وبرهان يقطع كل حجة، وحبل ممدود من السماء: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨] وقال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [يهدى إلى الرشد] [الجن: ١-٢] وكتابا متشابها مثاني تقشعر منه الجلود،

(١) رواه أحمد (٦٦٢٦)، والحاكم (٢٠٣٦).

(٢) رواه البخاري (١٩٠٢)، ومسلم (٢٣٠٨).

هو شفيع أهله يوم القيامة، والمحاج عن صاحبه، وأهله هم أهل الله وخاصته، وخير الناس من تعلمه وعلمه، وما تقرب أحد إلى الله تعالى بأفضل من كلامه، وهو أعظم ذكر كل حرف منه بعشر حسنات، وكل آية منه خير مما في السماء والأرض، فيه علم الأولين والآخرين، وهو نور لتاليه في الأرض، وذخر له في السماء، ما خلا قلب منه إلا خرب، كفى به واعظا لمن عقل، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار.

وقد أمر الله بترتيبه وتلاوته وحث على تدبر آياته، والتفكر في عجائب أسرارهِ وأخبر أن الذين يتلونه لهم تجارة لن تبور، وأجر عظيم وفضل كبير من غفور شكور، وقد كان النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقوم به حتى تنفطر قدماه، فلو طهرت القلوب ما شبعت منه أبدا، ولو تدبرته

العقول لرأت فيه من الآيات عجا، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ

هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [١] وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: ٩-١٠].

أيها المسلمون من عرف شرف الزمان شح بوقته، ومن طلب مرضاة ربه اجتهد في خدمته، وإن الصيام والقرآن في رمضان قرينان لا يفترقان، ويقدر المحافظة على القرآن يحفظ الصيام، ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه،

إنه لي أكبر آيات كبرتها

وأعنا فيه على الطاعات وأعدنا فيه من شرور
النفوس والسيئات.
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

جهاد بالنهار على الظماً وحفظ الصيام، وجهاد بالليل
على القيام وتلاوة القرآن، فمن قام بهذين الجهادين
ووفى حقوقهما وفي أجره بغير حساب، ولذلك كان
الصحابه رضوان الله عليهم يقرؤون بمئات الآيات في
قيامهم في رمضان حتى كانوا يعتمدون على العصي من
طول القيام ومشقته، وما كانوا ينصرفون من صلاة
الليل إلا في فروع الفجر، بل كان من السلف من يختم
القرآن في كل ثلاثة أيام في رمضان، فإذا دخلت العشر
الأواخر ختم في كل يوم.

وقد شرع النبي ﷺ قيام الليل في رمضان جماعة
ليسمع الناس فيه القرآن كاملاً، قال ابن رجب رحمه
الله: « وكان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في
الصلاة وغيرها، وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان
ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن، وكان زييد
اليامي إذا حضر رمضان أحضر المصاحف وجمع إليه
أصحابه»^(٣)، وكانوا يجلسون في المساجد ويتفرغون من
أشغالهم ويحفظون أوقاتهم وصيامهم.

بهذا يحفظ الصيام وتسان الجوارح، ويسارع الإنسان
في الخيرات، ويطرق في درجات الإيمان والثبات، قال
تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسَجْدُوا وَعِبَدُوا
رَبَّهُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

فاللهم أعنا على طاعتك وذكرك وحسن عبادتك،
اللهم وفقنا لما يرضيك عنا، اللهم كما سلمتنا إلى
رمضان فسلمه لنا وتسلمه منا متقبلاً يا رحمن،

(٣) لطائف المعارف (ص ١٧١).

